عاشور الطويبي



حجرٌ دوّرته الرّيح

شعر

أركنو

العنوان: حجرٌ دوّرته الريح
المؤلف: عاشور الطويبي
دار أركنو للطباعة والنشر، ليبيا
تاريخ الإصدار: 2025
تصميم الغلاف واللوحة: عاشور الطويبي

غات، الرجبان، أبي، وشجرة التين

لأن الخريف دائماً سكران،
هكذا تأخذ النخلة أنفاسها!

شجرة التين في فناء بيتي،
أخذتُ عودها من شجرة غرسها جدّي.
جدّي الذي مات وهو يقول:
للشاي روح، لا تشعلوا فيها النار إلا بقدر،
لا تعرضوها على ريحٍ إلا بقدر،
لا تقتربوا منها إلا على طهارة.
الشاي طريق من طرق الجنة .

قال أبي :
لم يكن لدينا أوراق تبغ أو كاغد نضع فيها التمباك،
لكن كان لدينا الكثير من الطين .
للطين رائحة شبيهة برائحة الحريّة.
هل تعلم ما رائحة الحرّية؟!

عندما جلسنا أنا وعائلتي، ذات ربيع تحت شجرة زيتون في الرجبان،
رائحة الزيتون كأنها طائر خضّير طار لأول مرّة،
الرمل اليابس كأنه عاد من سفر بعيد،
كانت طرابلس قبسة نار تلمع.

قال أبي: هل ترى ما أرى يا بني؟
قلتُ: أرى بيوتاً معتمة، وشوارع فارغة،
أرى كثيراً من الحزن يتبع بعضه ثمّ يغرق في بحرٍ شاسع.

"ماذا أيضاً.؟" قال أبي
نهارات لا ضحك فيها
وليالٍ تشرئب لقرع طبول بعيدة.

"كيف تجد نومك؟" قال أبي
لا أكاد أعرف، كيف يتعرّى المرء من وهمٍ عميقٍ!

كيف لحبّة زيتون من الرجبان
حين تضعها في فمك كلّ هذا السحر؟ !
هي تماماً هكذا عندما تسمع أعمال رحمانينوف للبيانو،

أو عندما تتلاقى في الهواء قدما الراقصة الأولى في بحيرة البجع،
أو عندما أُحسّ دفء ابتسامة زوجتي وأنا أغني مقلدّا صوت نوري كمال :
صبّح عليك الورد يا حلو يا ضاحك.

ذات وقتٍ، في غات، وأنا أصعد الطريق إلى القلعة،
سمعتُ، زغاريد نساء، ضرب طبول،
وأصوات بشر فرحين .
قلتُ لرفيقي، هل تسمع ما أسمع؟ !
قال لا شيء يُسمع، ربمّا زفيف ريح
تائهة تجوب المدينة القديمة، أو
دندنة عالقة في ثنايا قلبك !
كانت الأغاني تعلو، الموسيقى دافئة،
أمّا أنا، كنتُ لاعب نردٍ يرمي رميته الأخيرة!

البيوت الطينية الواطئة في غات قريبة إلى السماء .
لكل بيت عنق وحول كلّ عنق رجفة طائر .
أخفاف الإبل في غات، لها هدير الزلزلة،
حين يميل بها شجنٌ تدفع بالآهة إلى بحر رمال عظيم.

كلما دخلتُ غات،
صارت الأحلام أكثر خفّة وأشدّ وقعاً .
غات لا تسمّي نخيلها ولا خيلها ولا شوارعها.
غات تعلّق أحلامها الغضة على حبل خوفها
توّشم معاصم نسائها بنوق حبلى.

كلما مشيتُ في شوارع غات،
مشت الأبدية مشيتها الرشيقة!

لم أعرف اسم الشجرة أمام باب الدار !

لكني لمحتُ يداً تلوّح وسحابة تنتفض من بعيد .

كيف للبرّية كلّ هذا الأنين

كيف يتّسع القلب لكلّ هذا الأمل؟!

يا لغاتٍ التي أحببت !

يا لعاشور من أورادٍ لا تتّسع لليل!

هممتُ أن أفعل ما يفعل الناس،

هذا الرمل حاطب ليلٍ، له

في كلّ وادٍ أغنية

في كلّ سماءٍ مصابيح تومض وتتلألأ .

"هل وصلنا إلى غات؟" قال فتى من رملة أركنو

"كي تصل غات، عليك أن

تمدّ الخطوة طويلة،

تصعد قوز الرمل،

تقف بين سورها وبستانها كأنك حبلٌ من مسد".

قال رجل يخفي وجهه بقماش أزرق.

الوقت في غات، لا يقسم على ثلاثة.

الوقتُ خيطٌ يتدلّى من أسقف بيوتها.

الوقتُ كلب يقتفي أثر القوافل .

الوقتُ بريدٌ يفيض بالوجد.

الوقت في غاتٍ،

حصيرة رملٍ وكؤوس شايٍ أخضر ساخن.

كنتُ أظن أني أعرف الريح !

حين دخلتُ غات أول مرة،

كانت الأيام تمضي،

لا ريح ترفع شراعاً فوقها،

لا أوراق شجر تهتزّ آخر الليل .

كيف إذن تنهض كلّ نهارٍ، تجرّ وراءها ذيل ثوبها الطويل؟!

غات فاصلة هشّة بين حريقين !

حريقٌ أشعلته الجنّ على أطراف أصابعها،

وحريقٌ اهتزاز الوتر في الأبدية .

غات دقّاقةُ باب في يد غريبٍ،

همسُ نعام في ظهيرة ساخنة،

ضربةُ حافرٍ في أغاديس ،

رقرقةُ ماءٍ باردٍ في صحن بيت في باب البحر.

أثقال فوق أثقال

(غريبٌ ينثر ما يراه ويسمعه)

يا لثقل البيضة على الماء!

البيضة تقترب لترى وجهها في الماء.

لكنّها ترى فقط فقّاعة تصغر وتتلاشى.

هيت لك قالت لفقّاعة الماء!

أنا –لا أعلم من أنا- خرجت

من أرضٍ ليست كمثل هذي الأرض،

من ماءٍ ليس كمثل هذا الماء.

كلّما أحاول أن أمدّ يدي لا أجد يدي،

وكلّما أحاول أن أدقّ على الجدار بقدمي، لا أجد قدمي.

لا أعلم من الغابة غير هذا الركن،

هذه السرعوفات العجلى،

هذي الشرانق المعلقة كالقباب،

هذي القناديل التي تتوهج بالضوء ليلاً.

في الحلم يزورني رجلٌ،

يجلس ويشرب من إناء في يده شراباً حامضًا،

ثمّ يصرخ عاليًا ويقفز في الماء.

لا يخرج الرجل لكن إناءه لمّا يزل يترنّح!

يا لثقل السحابة على العشب!

العشب تعويذة الجن وخادم الريح،
يعلم أنه ليس سريراً للسحابة .
العشب يجيد الانحناء ليدٍ خفيّة،
لحمرةٍ في الأفق،
لخفقِ جناحين،
لصباحٍ يصنع شهقاته على مهلٍ،
لفراشاتٍ تتبع نهرها من الغرب إلى الشرق،
لفصيل خِيلٍ تلمع أعرافها في ضوء الشمس،
وسُرج تتلألأ في أعلى السماء.

يا لثقل زفرة الغريب على النار!

غريبٌ جاء من أرضِ الكثبان والريح،
الأرضُ وراءه حقول قمح وشعير.
نجواه بومة تنعق على أغصان الطلح والعوسج،
شرابه سلس وضحكه حصى ملقى في برية.

"ما بقلبك يا غريب؟" تسأله النار
"ما لدموعك صارت زرقاء يا غريب؟" تسأله النار
"ما لخطوات قصيرة وصدرك ضيّق يا غريب؟" تسأله النار
"زفرة وزفرة وزفرة " يجيبها الغريب

يا لثقل الحصاة على دودة الأرض!

تهرب من وميض البرق، إلى حفرة الأرض.

في حيرتها وفي جيب الليل الغارق في الحزن،

تنسى أن تأخذ حبّة الحنطة.

تنسى اسمها التي أعطته لها أمّها قرب البحيرة العظيمة.

تنسى السهول البعيدة الغارقة في الصمت.

لكنها لا تنسى أبدًا:

شهوة الرمل،

شهوة الماء،

شهوة اليرقة،

شهوة الندى،

شهوة الإطلالة الأولى للحياة.

يا لثقل الغيمة على جناح الغراب!

سمكةٌ تقف على رأس مثلّثٍ،

تسبحُ أم تسبّحُ؟!

"أنا ولدتُ من غيمة ذات خريف مطيرٍ." قالت السمكة

"لا إخوة لي وأبي كان من فقّاع الجبل." قالت السمكة

"ولدتُ سمكةً بعينين ذهبيتين وذيل طويل." قالت السمكة

"منذ أن وضعتني الغيمة على رأس هذا المثلث،

وأنا أبحث عن نهر أو بحر أو حوض ماء." قالت السمكة

"سأنتظر نهاية هذه الحرب، وأقفز قفزتي الأولى." قالت السمكة

"سمعتُ غرابًا يقول لغراب آخر: لن تخرج هذه السمكة،

إلا إذا علقت الشمس بخيط عنكبوت." قالت السمكة

يا لثقل الميت على التابوت!

وأخيراً أخذتَ ضجعتك رائقاً،

تعلم أنّ حقل الفول ليس بعيداً من مرقدك،

حقل التفاح هناك على يمينك.

كيف تمرُّ السنوات عندك؟

السنوات كلّها في تلك الصرّة قريباً من فتيل السِراج.

كيف تحسبها؟

أتمتم بأسمائها وإن أخطأت أعيد التمتمة.

في أيّ سنة نحن؟

في عام الفيل والزلزلة والطيور الأبابيل.

هل ترى شيئاً في أحلامك يحزنك؟

الكثير الكثير!

هل تتشوق إلى شيء؟

اشتاق إلى بيوت تركتها فوق الجبل،

وإلى ضحك دافئ وأغاني.

لكن أكثر ما اشتاق إليه،

شجرة التين الصابرة عند مدخل بيتي،

تبوح بأسرارها بين يديّ المرتعشتين المتلهفتين للخلود.

يا لثقل الريح على الغرباء!

هي مدينة بين ثلاثة جدران، سقوف بيوتها براح للنساء.

في أزقّتها اللاطمة تحمل النسوة الألوان إلى غرفة العروس.

تنحني رقاب الغرباء في كلّ عطفة وركن.

كلّ حقل له يوم من عين فرسها،

كلّ عود رمّان يخرج من جلد الماء.

موتاها خارج أسوارها،

نخيلها يمدُّ الظلال،

إلى مقاعد الشمس السبعة.

في ليل الشتاء الطويل تبدأ

الأغنية دندنة ناعمة، على طرف رداء محارب.

لا تنتهي حتى تصل صرخة الشهوة حناجر النساء.

انحنِ أيّها المسافر عندما تعبر بوابتها،

لا ترفع النظر إلى غزالتها.،

لا تدم الجلوس مع بائعات القرفة في ساحتها.

يا لثقل الستارة على المصباح!

لولا النافذة لماتت الستارة.

في بيتنا كان لها ظلفتان،

في كلّ ظلفة ألواح مستطيلة.

فراغ بين لوح ولوح.

فراغ له وجه شجرة.

منها تعبر الفراشات بهو الغياب،

تدخل صيحات الديك وفرس الفجر.

في الليل تستيقظ الستارة،

يستيقظ المصباح،

تسيل الحكايات المقدسة،

الحكايات الشبقة،

في إحليل الليل كما يسيل رقيقًا هوى الماء في الساقية.

يا لثقل البرق على السمكة

السمكة تجلس على أعلى الهضبة،
فرحانة حيرانة سكرانة.
نيران تلمع في شوارع المدينة،
أصابع حلوى في فتارين ملّونة،
وجوه على شراشف من حرير.
مَنْ كوّرَ شغف الأرض؟
منْ سدّدَ سهمه في عين الزرقة؟
منْ راودَ الزهرة على رجفة نويرتها؟
ستسقي الغيمة أصيص القرنفل.
ستتدلّى الستارة رقيقة ناعمة على كتف السيّدة.
السمكة تقضم حزنها كما يقضم النور فم كهف قديم.

يا لثقل القفزة على الجندب

عيدان الشعير المقصوصة تدمي أرجله.
لقد قُطعت السنابل الحبلى،
ونفخ الصبي في عيدان القصب المحفورة لحنه.
نيران حطب أمام البيوت في أعلى الهضبة.
ما يفعل جندب وحيد في حقلٍ فارغٍ؟!
الريح تثقل جناحيه ولا رفيق معه،
كيف إذن يصل إلى فم الوادي،
إلى حجارة كبيرة برؤوس ملفوفة كالحلزون،
إلى بيت الرمل المسكوب رقيقًا ناعماً،
إلى شجرة العوسج المزينة بأمنيات العذارى والعاقرات؟
هو جندب لا أكثر، بعينين فيروزيتين،
وحنينٍ كبيرٍ لصحراء عظيمة
هناك!

ليلٌ موحشٌ حزين

المخيلة مذراة

أضرب بها الريح فتئنّ الحقول

أرفعها عالياً فيسقط مطر غزير

أغرزها في البحر فتشهق عاليًا الأسماك والحيتان

أمسكُ بخيطها الطويل وأعقد على رقبة الحقيقة عروتين

يخرجُ من الأرض دودٌ وسحالي صفر وحمر وخضر وهوام كثيرة

ومن الصحراء يأتي عمود دخان كثيف ثقيل يغمر الأرض ويكون ليل

ليلٌ موحشٌ حزين

ظِلّ البيت

ظِلٌّ البيت الذي بنيته في صبراتة
شاسعٌ كابتسامة اليوم الأوّل من رمضان
حوافّه ناعمةٌ لا التواء فيها
صدره باردٌ حين تأخذ الشمس في
العودة إلى بيتها وراء مقهى الجرف

ظِلٌّ تتفتّح أزهاره السرّية في الليل
يذوي حين تتعالى أصوات الغرقى
يرتجُّ حزناً كغابة ترُكت للنسيان
يلعق الموج أطرافه ويجمع بيديه الخائفتين
ما يركض على الرمل من سلطعونات

ظِلٌّ يتيمٌ سأسميه الطوفان.

حقل فول

سقفُ كلُّ بيتٍ حقلُ فولٍ.

إنْ رأيتَ فراشاتٍ في فناء بيت،
تلك ضحكات أصحابه.

إنْ رأيتَ شقوقًا على الحيطان،
تلك دموعهم.

إنْ رأيتَ أوراقاً صفراء حمراء على عتبة البيت،
تلك أرواح الذين سكنوه.

إنْ لم ترَ شيئًا في فناءٍ أو على حائطٍ،
اعلمْ أنّ شوقَ النهر فاض.!

إبيجرامات قمر مشقوق

1

الذين رحلوا،

تركوا أثارهم على صفحة السماء،

راوغوا ذرات الرمال في البيد والمفازات.

إنْ نظرتَ إلى أعلى، ترى النجم يلمع، القمر ينير،

ودرباً يلوب بأنفاسه على مجاهل وغيابات شتّى.

2

لو رفعت قبضتك عالياً وضربت السماء، هل تراها تنزف أو تسمعها تئن؟

ستكسرُ أصابعك السكينةُ، مثلما يكسر الصقر الريحَ بجناحيه.

النظر في النجوم والكواكب لا يغير شأن حالٍ ولا حال شأن.

النظرُ فيها كالنظر إلى فقاعة هواء في دواة حبر،

إن رججتها سقط سقفها وذابت في الظلمات.

3

الجاهل من يقف على الطرقات صارخاً وضاحكا وباكياً!

الفاصلة الكبرى أن ترى ما لا يرى غيرك.

ها أنت على الطريق، فإلى أين أنت ماض؟

ماذا تختار عدّة لك في سفرك القريب وسفرك البعيد؟

كيف ترى نفسك وأنت في الظلمات؟!

4

العالم إصبع بلا ظفر، وبئر بلا دلو.

لتطمئن نفسك: كن بين خطّي حياتين، متوازيين،

ضع يدكَ على هذا ويدكَ الأخرى على ذاك،.

سرْ تتبعك الريح أو تتقدمك،

تتبعك الكائنات أو تتقدمك،

سيّان هذا وذاك!

5

الشجرة دخان حكايات قوافل تجوب الصحاري.

الشجرة صيف تعثّر في رداء ظهيرة وحشيّة.

الشجرة حجر دوّرتهُ الريح.

الشجرة تظهرُ ما نهبتْ الشمسُ من ظلالها.

الشجرة تخفي تحت التراب أحزان الكائنات وأشجانها.

الشجرة بريّة تخرج من صلب برّيّة.

الشجرة قوارب صيد على ظهور أسماك مذعورة.

الشجرة مفتاحٌ، حلقته في قرن ثور.

الشجرة تنّور يمور حين يدنو منه طير جارح أو صيصة ديك.

6

لا أعرف

كيف يتكلم الحزن،

كيف يترنّح بعبرته الألم،

كيف ينأى الضحك في ثنايا الغياب الكبير.

لكني أعرف

أنّ الدم حبر الغالب والمغلوب،

أن الموت يأتي بوجوه كثيرة،

أن الصمت ليس أكثر من جذر عشبة متعفن،

أن بقايا الروح ما زالت تبحث عن جسدها،

أن النهار ضلالة عظيمة،

أن الطريق أوله حيرة وآخره وهم.

7

في ثنية صقيع هذه البلاد الفاسدة:

يختبئ صباح قديم،

تفوح من شفة الفنجان رائحة الزعتر البرّي،

يتجعّد الضوء على يدِ النهار الكسول،

يغتبط الزقاق الضيّق بضحكات التلاميذ.

هذه السماء البعيدة التي تتشبّع بدفء البيوت الفقيرة،

حيدة كجدار روماني يطلّ من فوق كثيب رمل في ظاهر مدينة جرمة .

8

أبصارٌ مشدودة إلى أسلاك وصرخات تتساقط من جروح نازفة.

دخان عقيم تتمايل في ذيله قبّعات جنود ونياشين برّاقة.

حياة فقدت معصم حارسها تترنّح فوق المباني المهدّمة.

هذه نهاية وقتٍ يضجّ بأصوات القتلى.

9

تسقطُ الأكاذيب من فم الملك تحت أقدام الجرحى.

يجلس الرئيس في قصره يحيط به القادة واللصوص.

يقسم وزير الإعلام أمام سيّده أن الحقائب لم تكن مملوءة بالدولار.

يدخل المغنون والشعراء على الحاكم المتبجّح بجرده الأبيض الناصع.

مثلما يدك بصمة حياتك، تخبر بمن أنت وما تفعل،

كذلك الحولي (الجَرْد) يخبر عنك الكثير، قطعة صوف طويلة، مفتوحة،

إن مددتها فهي صحراء كبرى،

وإن طويتها فهي الكآبة والفقر والألم والجهل.

10

من طبيعة الأشياء أن:

يتناثر الرذاذ في الهواء،

تتناثر الضحكات في البيوت،

تتناثر الخطوات في الشوارع،

يتناثر ألم المظلوم في الأفئدة والقلوب.

11

ما تهدّمَ من صداقات،

رحمة بها علينا أن نضعها في خزائن العتمة،

أمّا الذين بقوا بعد الرحيل فقد صاروا أيدٍ تلوّح في الهواء فحسب.

علينا أن ننزل المنحدر أو نجلس تحت شجرة السرول عند منعطف المقبرة،

أصوات الذين كنّا نعرفهم أخذتها فاصلة الفراق والخوف.

12

شجرة جيلنا صارت تسقط أوراقها واحدة واحدة.

أين هي الأوقات التي كنّا فيها نقطع شوارع طرابلس مهمومين بمعاناة الشعوب؟

تحت برج الساعة وقفنا كثيراً أمام بائعي الباسطي والحليب باللوز ضاحكين متخاصمين.

منّا من كان ناصريّا،

منّا من كان ماركسيّا

ومنّا من كان لا منتمياً.

غير مدركين أنّ باعة سوق النجّارة كانوا من البروليتاريا المسحوقة.

13

تنطلق الرصاصة باردة تثقب الجسد،

لا تشبع الكراهية ولا يشبع المقتول بها.

تنطلق الصرخة حادة تثقب الفضاء،

لا يشبع الخوف ولا تشبع الشجاعة.

14

ما لنا لا نرى روح الشجرة في ظلّها،

ما لنا لا نرى روح السيّدة في اهتزاز قرطها،

أليست يد الشمس كبيرة والنهار أرجوحة الغائبين؟

15

ليس سهلاً تشريح القهر.

الحزن فاض في العيون،

الرعشة لم تفارق اليدين،

والكلمات هشّمتها كراهية هائلة.

16

الزهرات التي انتظرت الربيع،

أخبروها أنها لم تعد صالحة للحياة،

أخذوها إلى ساحة القرية،

جردوها من ثيابها،

أطلقوا عليها وابلاً من الرصاص.

17

حين يتصدع قلب الأرض،

تهرع أمواج البحر إليه، تمدّ حوافّها إلى أعلى

وإلى أعلى ترتفع بنايات، وأديرة ومساجد، وأرواح.

18

ضع كفّكَ أعلى الصدر قليلاً،

هناك حيث تتسارع النبضات وتخبوا ظلال الذكريات.

لا حاجة لتعليق جرس في أعلى النافذة،

لقد دخلت أصوات الكائنات كلّها.

19

هذه ليست لطخات طين لزج،

ولا كدمات حجارة ألقت بها العاصفة.

هذه تاريخ طويل عفن قاسٍ من القهر.

20

سوف ننتظر مجيء الليل ونهرب.

علامته نسيم باردٌ يلمس الوجه،

وصوت خرير ماءٍ يسيل في الأقاصي.

21

هل تعلم كيف تكون بعيداً وأنت في الظل؟

هل تعلم كيف تكون قريباً وأنت في الظل؟

أن تكون الظلّ وظلّ الظلّ.

22

حسبها نفخة واحدة تطفئ ضوء شمعة.

حسبها انحناءة واحدة تشقّ جناح فراشة.

هكذا يضع النهار صدره على صدر الليل.

23

قد يتسع قدر السيّدة لمطر يهطل على مهل.

قد تنساب في جدول الحديقة أغنية العاشق.

كان على هذه السرير أن يحمل كلّ هذه الاثقال

ولا يتعب!

24

لقلق يقف وحيداً على حاشية الماء هناك.

زورق مقلوب على رمل الشطّ يحنّ إلى مجدافيه.

قطّ يتبع رائحة سمكٍ مقتول صورة رأسه تنعكس على سطح الماء.

25

شِرِبْ شِرِبْ شِرِبْ

هذا ما يقوله جدجد الليل.

الربوة القريبة تسمع والشجرة القريبة تسمع.

شِرِبْ شِرِبْ شِرِبْ

يظهر رأسه الجدجدُ من تحت حجر أملس.

26

لم تشأ الريح أن تترك الطائر على شجرة الصنوبر،

الشمس الساجدة في أقصى الغرب اقتنصتْ اللقطة الأخيرة.

لماذا البئر عميق إلى هذا الحد؟ يهمس الطائر لنفسه.

27

لا طائرات تأتي إلى هذه المدينة ولا قطارات،

فقط الحرائق والقنابل والصواريخ،

بعد أن يغادر الناس على عربات تجرّها الحمير والبغال.

28

حروف الكلمات لا تقع على الأرض مثل الأزهار،

قد تجد فماً تسكنه أو يداً تسافر معها إلى وجعٍ آخر.

لا نفع من أن تسدّ اذنيك عن كلّ هذا الأنين!

29

من مكْرِ القذيفة أنّها

تسقط كما تسقط ثمرة من أعلى الشجرة،

تنزل المنحدرات المتعرّجة،

عمياء كالليل،

بصيرة كالحدأة.

من مكْرِ القذيفة أنها تمتلأُ بالموت،

كما يمتلأ البئرُ بالماء.

30

لا يعرفون أين هو ولا يملكون لسانه،

لأنهم لم يقابلوا من كان هناك،

ولأن من عادتهم غطس الوهم،

في وهم أكبر،

يسمونه برزخ.

31

ماهرون في ملْ فراغ ما يتلاشى،

ماهرون في تغطية الكذب بالحكايا،

يفتّشون عن الأسئلة حيث لا أسئلة.

القرية تدير لهم ظهرها

والبلاد،

هذه البلاد الغول،

تولجُ أحلامها في سَمِّ الخِياط.

32

ستدع النافذة ضوء الشمس يدخل الحجرة،

يحطّ على جسد المستلقية على السرير،

ساحبةً ظلال الأزهار بعيداً عن يدها.

قصة قصيرة

في الهاني قريباً من النصب التذكاري للشهيد

مشينا أنا وإبراهيم حميدان، كان على يميننا علمٌ يرفرفُ في سماء كئيبة.

"كأنّ الوقتَ وقتُ ربيع أو نهايته!" قالَ

"أهذا لأنّ طيور الخطّيف تحلّق فوق ضريح الوليّ؟" سألتُ

"كم أودّ أن أكتب قصّة عن خطّيفة وشجرة حناء في شارع بلخير!" قالَ

"يغنون في الأعراس: حُطّ إيدِكْ في إيديّ، شنْ تلقى في إيديّ، حنّة طرابلسية حمرا كيف الدم." قلتُ

مالَ قليلاً بجسده ناحيتي، وهمس:

متى يرجع البياض إلى وجه هذه المدينة، الحزينة؟!

إلى روح الروح وجدّها

استهلال

هذه قصيدة لا تقبل المشاركة، لا تقبل المرافقة، ولا المجاورة .

عن رجلٍ بوجه نبي، رجلٍ يشعّ منه نور .

لعله كان يسكن بيتاً في أعلى الهضبة أو قارباً يهتز بنسيم المحبة في بحر غزّة .

عندما يهدر شجن شفيفٌ في صدر عاشق، ماذا يفعل؟

عندما ترتجف أوراق الشجرة، لأنهما يجلسان تحتها، ماذا تقول الشجرة؟

"طفلتي، تغبطُ:

القصب على صفيره،

النافذة على حريتها،

الريح على وفائها، ا

لنار على فتيلة القوة فيها .

هذا ألم ٌلا أقدر على احتماله!" يقول الجد باسماً

كونشيرتو العاشق الغزّاوي

هكذا يا ابنتي نخبز الفطيرة في الفرن.
رأيتُ خبّازين تفوح من أثوابهم الطمأنينة،
رأيت نساءً يمشين في الطرقات يترنحن هوناً، مثلما تترنح عجينة أمي.

هكذا يتمهّل الوقت آن تفرغ الطائرات حمولتها.
سمعتُ عن رجالٍ تسيل من أصابعهم دماء ضحاياهم،
سمعت عن نساءٍ يرقصن على عويل الثكالى والأمهات.

هكذا بلغ السيلُ الزبى ولا ربوة في المدى ولا مدى.
بيدي هذه مسحت على وجوه أطفال قُتلوا غدراً،
بيدي هذه شددتُ على سواعد محاربين مقبلين على الموت فرحين.
هكذا إذن تموت الأشجار واقفة كريمة حرّة.
قالت الأرض أنا أشهد على ذلك،
قالت السماء أنا أشهد على ذلك.

الأمواج البيضاء تأتي على مهلٍ،
تلوّح إلى مزارع زيتون مشبع بالطمأنينة.

دحرجة إثر دحرجة،
تقترب من رمل الشطّ،
تهدهد قلق الريح الغربية،
تلسع خاصرة الشط،
حتى إذا تلامست أكتافها، تحلق في الفضاء نوارس ويمام.

لخمسين يوماً وليلة، موجات البحر،
تعيد إلى المدينة المهشّمة، أ
نفاس الأطفال الذين أخذهم الغياب.
هذه نهاية السهل، لكن ليست نهاية الوجع!

مر إن استطعتَ، بقدمين راسختين، أو
طرْ فلا يراك العسس ولا المسيّرات.

هذا حجرٌ يسكن في أوّل الدرب، أنظرْ إليه، ماذا ترى؟
كيف يُنظرُ إلى حجر؟!
العين ليست وسيلتك، بل القلب.

هذه التفاتة الحفيدة،
هذا رجل معمّم، يركض نحوها بيدين ممدودتين.
ارتشف عبقَ السكينة من ردائه، وأغمضْ عينيك مليّاً.
كأنّ السُدَ ثقبته يدا نبي!

لسنوات أحاول تشريح الوجع، أحاول شقّه نصفي،
فلا أجدُ إلا أنيناً حزيناً،
بألسنة كثيرة، وأوقات لا شمس فيها ولا قمر.

الزمن يجعل الجراح أكبر وأعمق وأوجع.
الوجع قارب المظلومين يأخذهم من ساحل الهشاشة إلى ساحلين :
ساحل ذلة،
أو ساحل عزّة.

لو كان الوجود مياسم زهرة زعفران،
لكان وجوداً، خفيفاً بحمرة الغروب المهيبة!
لكن أين سيكون مكان الوجع فيه، ومكان الموت؟
على جدار بيتٍ دمّرته مدافع كراهية،
على كتف امرأة تحاول إخفاء عريها،
على أيدٍ ممدودة من تحت الركام تريد أن تحيا،
على شفاهٍ نسيت كيف تبتسم، وكيف تغنّي،
على ربوة كانت يوماً بيتاً لحصان الحقل،
على كاميرات كثيرة تلتقط كلّ شيء ولا شيء،
على صراطٍ لم يعد مستقيماً،
على جهنّم التي تقول: هل من مزيد!

لطخة لون على هذا الخد الشاحب،

كلمة كثيفة على هذا الساق المكسور،

لا يجمعان ما تفرّق من وحشي البراري.

لن تر من عين المسبار كيف تتهشّم المدينة وكيف يُقتل الأطفال.

الجرائم في مجلس الأمن -حيث لا أمان-

صغيرة أذا ما رغبوا،

كبيرة إذا ما رغبوا.

خزانتهم تمتلئ بالأوراق والأصفاد،

وصفوف العبارات الوهّاجة!

إلى نوفل نيّوف في عيد ميلاده

سيصعد الثور الهضبة،
لكن الأحمال ثقيلة،
وكلّ هذه السنين أخذت ما أخذت
من هذا الجسد الصبور!

ما يجمعنا في الغرفة:
نهر أخضر،
مرآة مصقولة بإتقان!

ستلامس قدما الثور حافّة الماء الفوّار.
سيقف العجوز محني الظهر قريباً من الغياب.

تمعّنْ في الصورة، ماذا ترى؟
امرأة بحجم بلاد،
في رحمها ستة أجنّة،
من كل نهدٍ يسيل نهر رقراق.

وماذا أيضاً؟
أرى رجلاً يمشي غير بعيدٍ منها،
في يده قطفة نعناع،
من فمه تسيل قصائد خضراء.

رفرف عالياً يا ذيل الطاووس.

رفرفي عالياً يا سحابة العمر.

إلى حلبة الرقص،

يدخل الأطفال،

تدخل الفساتين الملوّنة المزركشة،

تدخل الضحكات الطويلة والقصيرة،

تدخل المعزة الرماديّة،

تدخل السماء،

تدخل الأرض،

يدخل ضارب الدفوف.

ينسلّ الأبيض من سطح الصورة عريان،

أنظرُ إليه من وراء النافذة وتنظرُ إليه سحبٌ مبعثرة.

خلفنا ليلٌ طويل موحشٌ،

خلفنا عسسٌ وناقلات جنودٍ ومدافع.

أمامنا فجٌّ عميق، وغياب يأكل غياب!

كيف تنام المدينة؟

الأطفال القتلى يدقّون على الأبواب،

ولا أبواب!

بعض المدن مليئة بحدائق الموتى.
بعض المدن تفيض بالكراهية.

لكن هذه المدينة،
مزقة جناح تركتها الفجيعة ليوم القيامة!

جنان النوّار يوّدع إبراهيم حميدان.
أخيراً فتحتْ سجادتكَ أبوابَها،
أطلقت سراح طيور الغابة.

ألم تقل:
سيأتي يومٌ تسمعون فيه طرقات الغريب على الباب،
ترون القمر شارداً في البرّية تتبعه الهداهد وجداول الماء؟!
ماذا تفعل الآن يا إبراهيم؟

أجعل المدى الشاسع بيتي...

لقد رحلَ الفتى
دوّرَ في كفّه حبّات مطر من طرابلس،
وفي عروة سترته علّقَ سنبلة.

أن تحملي البحر على ظهركِ، يا شجرة،
عبءٌ لا يقدر عليه أحدٌ غيرك.

أن تنفخ من على سبّابة الوقت غبار النسيان، يا شاعرُ،
عبءٌ لا يقدر عليه أحدٌ غيرك.

أن تدحرج الشجن من قفطان البذرة، يا خرّاز،
عبءٌ لا يقدر عليه أحدٌ غيرك.

أن تقصف الريح وتضعها في سرةّ الأرض، يا ثعبان،
عبءٌ لا يقدر عليه أحدٌ غيرك.

أن تعصر من عريشة العنب نبيذ الجنّة، يا سقّاء،
عبءٌ لا يقدر عليه أحدٌ غيرك.

أن تترك أبواب القلوب مشرعة، يا بوّاب،
عبءٌ لا يقدر عليه أحدٌ غيرك.

تعالي نضع رقعة الشطرنج بيننا،
أطلقي سراح حصانك في سهولي.
أمّا أنا سأفكّرُ مثل ملكٍ مليّاً،
كيف أقتلُ الجنود ولا أموت.

جاء الطائرُ من النافذة المشرعة أبداً،

التفتَ يميناً وشمالاً، ثمّ حلّقَ في الهواء.

حين أفقتُ من النومِ،

كان واقفاً على صدري!

لكلّ امرأة قنديل.

لكلّ ليلٍ قنديل.

لكلّ مدينة قنديل.

لكن،

لا قنديل لبومة الحقول الشهباء،

لا قنديل للغريب الحزين.

الوعلُ البرّي:

أخذَ العروس،

خلخال العروس،

وتنهيدة الحجر.

إلى أين يمتدّ جذر البندقية؟

إلى بيت كراهية،

أو

إلى قلب جبان.

أيّ عذاب،

أيّ ألم،

أيّ ذلّ،

أيّ توحّش،

هذا الذي يحيط بنا يا الله؟!

إلى إبراهيم حميدان الذي رحل عنا

لك أن تضحك علينا الآن وأنت هناك في الضفة الأخرى من نهر الليثي!
لم تعد في حاجة للوقوف في الطوابير،
ولا لكتم العبرة في صدرك على وطن أحببته.
اركبْ فرسكَ، دعها تنساب مثل الريح في سهول الخُمس،
أو توقّف في مقهى صغير في جامع الصقع واستمع مبتسماً إلى حكايات العامل المغربي.
"أنا الآن أمشي، بجانبي الجيلاني طريبشان، ورضوان بوشويشة،
لن أخبرهما بأنكم ما زلتم كما أنتم!
سأخاتل بوشويشة كي يدفع حساب القهوة والبريوش." يقول حميدان مقهقهاً

قلتَ لي مرّة:
"لا تفزع من الريح يا عاشور!
لن تطوّح أشيائك في البيداء.
حسبها أن تزيح من على قلبكَ الغبار قليلاً".

أيّهما أنتَ على يمين القبر؟
أنا طائر القصب،
أنا عود الريحان،
أنا كأس الشاي،
أنا الذي على يمين القبر.

في الشِعر

في الشعر، ما يهم هو ماذا يصلك منه، ليس ما يعنيه صاحبه.
ما يهم هو أن تصنع قصيدة منها لك وحدك.
هذا في تقديري كيف أقرأ القصيدة،
حيث لا مسافة إلا التي أضعها،
لا زمان إلا الذي أجعله زمنها،
لا مجاز إلا الذي أمسح به على مرآتها،
لا عين إلا التي أراها بها!

"لقد ركضت الخيل إلى الحمادة الحمراء".
قال ذلك الفارس، يمتطي فرسه البيضاء،
مثلما قالت النسوة الصاعدات التلّة في أوّل الكاف.

"على العاصفة أن تهدأ قبل حلول الليل." قال العجوز وهو يشرب شاي الشيح بعد صلاة العصر.

لم يتوقّف الرجل الغريب عن طحن القمح الشحيح،
لم تتوقّف العروس عن قراءة رسالة حبيبها القديم.

أغرقت الأمطار الخيام والنيران والبيوت المهدّمة!

شجرة صنوبر

شجرة صنوبر، تركتها في طفولة مبكّرة،
كنتُ أراها تمدّ خيوطاً طويلة، رقيقةً،
إلى السماء البعيدة.

لم يكن ظلّها يكبر إلا عندما تصير الشمس حمراء،
في الربيع، تأتي إليها طيور الفقّاقي ذوات الذيول المستديرة الجميلة،
في ليالي الشتاء الباردة، تأتي إليها سلاحف صغيرة من ترهونة، بأفواه مفتوحة.

تحتها نبتتْ أناشيد أطفال المدارس، وارتجفتْ قلوب العاشقين.
على أغصانها العالية، علّقتْ النسوة،
أحجبة المحبّة، وحبال التين القادمة من غريان.

ليت لي الآن شجرة صنوبر ترعى مخاوف شيخوختي،
تجلس معي نشاهد كيف تتقوّس الأماني
خلف القمر الراكض صوب شطّ صبراتة!

البومة الشهباء

لا أدري إلى أين ذهبت بومة الحقول الشهباء في هذا الصباح الشتوي!
من مكتبي المشرف على بحر صبراتة، عند نهاية الشمال الأفريقي،
أسمع صوت الريح، زفيفها الموحش.
أسمع هدير أمواج البحر.

أعرف أنّ قلبي مشدود بخيطٍ رفيعٍ
أوله في غزّة وآخره في غزة.

أعرف أنّ دولاب الماء دائري مثل بيضة نعامة،
خشبه نعّمتْ ملمسه قطرات ماءٍ أبدي،
قلبه يصدحُ بأغاني السهوب الشاسعة.

ما حال شتاء غزّة؟!

طوبى للصابرين هناك في مدينة خربتها كراهية عمياء!
طوبى لفرح يسرق الوقت من بين أدخنة القنابل ومواقد الطعام!
طوبى لطفولة نضجت ولم تتشظّى!
طوبى لمقاتلين حسبهم أن قالوا لا!
طوبى لغزّة ولأهل غزّة ولحجارة وبحر غزّة!

لا بأس، طوابير ترحل من سجن إلى مقبرة!

طريقة لتخفيف الأحزان

كي تخفف الحزن على روحك التي صارت جافّة وهشّة، مثل قرن خرّوب ملقى :

أرسمْ كائنات برؤوس عظيمة،

كائنات ترقّ حتى تصبح مثل حبالٍ من مسد،

كائنات تطارد شيئاً يلوح ويختفي أمامها،

كائنات تحملها أقدام عجلى،

إلى صحراء باردة ليس فيها من الحياة إلا الريح .

خطوط سوداء داكنة كتومة، تلك التي تفضح كل سرّ!

صرت الآن أفهم

صرت الآن أفهم، أن الأحزان :
وديان، يتدحرج الموتى على ضفافها.
أشجار طلحٍ، رغم كلّ شيء
تهب للسحلية ما تحتاجه من ظلال.

هكذا يقاوم الضعيف

هكذا يقاوم الضعيفُ وهكذا يُهزمُ القويّ الغاشم.
حين ينعقدُ اللسان ولا يقدر على النطق، تنبت للعيون ألف لسان.

هكذا يقاوم الضعيفُ المظلوم، وهكذا يُهزمُ القوي الغاشم.
حين لم يعد تعجز القدم على أن تتقدّم أو تتراجع، تمدّ الأرض بساطها.

هكذا يقاوم الضعيفُ المظلوم، وهكذا يُهزمُ القوي الغاشم.
حين يطرح الطائر في المدى أغنيته، تنصت الأشجار إلى شجن عظيم.

هكذا يقاوم الضعيفُ المظلوم، وهكذا يُهزم القويّ الغاشم.
حين يتوقف الزمن فلا حراك، تقترب الشمس وينشق القمر.

هكذا يقاوم الضعيفُ المظلوم، وهكذا يُهزمُ القويّ الغاشم.
حين تسمعُ الكائنات الزلزلة في قلب الإنسان، يسقط مطر شديد..

هكذا يقاوم الضعيفُ المظلوم، وهكذا يُهزمُ القوي الغاشم.
حين تسقط على بيوت الناس النار والفوسفور، تصير الأيدي بطول الشوارع.

أتذكر زكريا محمد

القيام فجراً ثم الجلوس أمام شاشة حاسوب، عمل مرهق حقّاً!
كيف كان الراحل زكريا محمد يفعله وجعله طقساً لا يحيد عنه؟!
زكريا الذي لو عاش حتى طوفان الأقصى، كان سيكتب:
اليوم صار لحياتي معنى وصار لفلسطين معنى وصار للكون معنى.
لكن أبا خميس سيبقى يراوح في الخميس وهو يلاحق السبت!

"من هذا الذي يضع الأزهار على قبري قبل طلوع الشمس؟"!
ينقرُ زكريا بسبّابة واحدة على لوحة مفاتيح...

البريد

لقد توقّف البريد الذي يصل إلى المدينة.
توقّف بائعو الحليب والقشدة عن المرور على البيوت المفتوحة على الخراب والشمس.
توقّف العمّال عن المجيء إلى المخبز عند الفجر.
توقّفتْ الضحكات التي كانت تُسمع خلف النوافذ والزعتر والشيح.
توقفتْ الخطوات تماماً مثلما يتوقف عقرباء ساعة نسيها عجوز في خزانة خشبية.

لذا لن تصل القصائد إلى أصحابها،
فقد قُتل سعاة البريد، وقُتل الأصحاب.
لن نجلس على طاولة الإفطار نتبادل الحجج عن
أيّ أنواع الجبن أفضل،
أيّ الجهات يكون عشبها به رائحة إكليل الجبل

النهار الأخرس

النهار صار أخرس،

والأيدي لم تعد قادرة على التلويح بالتحية

للموتى الراحلين على عجل!

رماد قاتم في كل مكان،

عويل نائحات يتردّد صداه في أفران **المحرقة!**

صورة من بيان الناطق الصحفي لجيش الاحتلال

حين تصير الأجساد رماداً أسود، تصدح مكبرات الصوت:

اهربوا .

امضوا حتى لا نقتلكم لاحقاً ..

لا وقت لديكم لانتظار النبي،

أو جيش الأخ الجار.

سنهدّ هذا الجدار، وهذا الجدار.

لا عباءة الأمير المذهبة الأطراف، تخفي عريكم،

لا سبائك الذهب المخفية تسدّ جوع بطونكم،

لن تبرأ جراحكم بلثغة الفقيه،

ولمسة يد الرئيس الناعمة.

أشجار السرو

سيقان أشجار السرو تشقّ وجه الشمس،
سرب طيور لقلق تلتفت ثم تعود إلى شأنها.

صخرة في أعلى الجبل تتكئ على كتف صخرة أخرى،
قطرات ماء باردة تلتفت ثم تعود إلى شأنها.

جيب سماء يسقط في كهف حالكٍ، جلبة ترتفع،
قنفد يترنح يلتفت ثم يعود إلى شأنه.

تتجاور الأشجار بينها كلام وصمت وغناء،
بتلات زهرات على الأرض حولها تطن نحلات عسل.

كائنات تحت الأرض وكائنات فوق الأرض،
كائنات فوق الفوق وكائنات تحت التحت.

في الصباح الباكر يضع الجبل ذراعه على كتف الغابة،
في الظهيرة تنام الغابة ،في الليل يسيل من إصبع الجبل نهر.

في مائة يوم يصل النمل إلى أعلى الجبل،
في خفقة جناح واحدة يصل الصقر إلى أعلى الجبل.

فوتوغرافيا الحرب

ممرّ ضيق على الحياة

رتلٌ

سيارات دفع رباعي مسلّحة يتقدّم مسرعاً.

غبارٌ

يغطي عمائم ملوّنة وعباءات شاحبة ولحيّ طويلة.

بنادقُ

كلاشينكوف تلمع تحت سماء شديدة الزرقة.

ابتساماتُ

نصف ميّتة وعيون تفتح على تيه وخذلان.

رتلُ

سيارات دفع رباعي مسلّحة، أتى من أرضٍ

فيها الموتى

يركضون في شوارع كئيبة.

رتلٌ

أوله جحيم، وآخره جحيم.

طيارة ورقية عند الفجر

مَن

سيرفع الآن طيارته الورقية في سماء المدينة؟!

طائرتك

الخضراء بجناحيها الأبيض والأسود

صارت بدداً.

لا بأس

لن تستيقظ المدينة إلا على خراب أكبر.

أسقفُ

البيوت الطينية الواطئة تحاول أن

ترتوي بطيارة ورقية عبرت

من هنا.

قريباً من المدفأة

بقايا

لحمِ جديان مقدّد،

قطفةِ تبغ ذابلة قرب المدفأة.

جنودُ

بيضُ عيونهم الفارغة تحدّق

في وجه لطمتهُ ريحُ العداوة

سنينَ طويلة.

الشايُ

ساخنٌ يفوح برائحة القرفة.

صورةُ

الزعيمِ الجديد تكاد تلامس السقف.

فقط

قطراتُ ضوء الشمس

على بندقية جاهزة للقتل.

الولد

على

يسار ضريح الولي،

وراء

سور طيني،

قريباً

من عين الشمس.

يجلس الولدُ

عيناه

تتطلّعان إلى عيني

الرجل القادم من أقصى الشمال.

يحاول

أن يفهم ما الذي جاء يفعله

هنا

في قرية ليس فيها إلا الريح.

الغبار

يغطّي الوجه والبذلة الداكنة

لكن أكثر ما شدّه:

رائحة العلكة

وبسكويت الكريمة بالعسل.

صورة الحاكم

ها

هي

بين يدي

بائع البسط الفارسية والبشتونية.

لا يُرى منها

إلا زِرّ أبيض كبير،

يكاد يتوهّج

تماماً عند منتصف الصدر.

قبّعة

على شكل قارب صغير

بخطوط من صوف اللاما.

الزعيم يبتسم.

الزعيم غارق،

في الحيرة مثل قبطان

مخمور.

حمار العربة

يمكن

لحمار العربة

جرّ العربة

وأكداس التبن.

يمكنه

حمل النسوة الذاهبات

إلى وليمة العرس

أو

يستلقي في ظلّ شجرة

أو

على صخرة عالية.

لكن

كيف له أن

يجرّ صاحب العربة من نار مستعرة؟!

ضحكات

غبارٌ
يملأ الشوارع.
روائحُ،
وقود دبابات وسيارات صدئة.

في
ذلك الركن الظليل قرب حقل القنّب المحروق،
بنادقٌ
كثيرة تَلوح بين الطواقي المزخرفة.
ضحكاتٌ
كثيرة يمكن غرفها من على الأرض.

المقبرة الجماعية

تأتي

الشاحنات المحمّلة بالجثث.

يأتي

الناس المحملون بالخيبات والهزائم.

يأتي

الأطباء بمعاطفهم البيضاء الملطخة بالدم.

يقفون على حافّة حفرة كبيرة،

قاعها حزن لا ينتهي.

نسوة في الشارع

ماذا

تخفي النسوة تحت عباءاتهن؟

حكايات

ذلّ وبرانس للمرابطين في الجبال البعيدة.

عيداناً للسواك ،

عطور صندل ،

طبيخاً جاهزاً للأكل،

رضّعاً في قماطات قطنية،

وعرقاً غزيراً يسيل بين

ثنايا الجسد،

و

ثنايا الروح.

ديار مدمّرة

سيقفون هنا.

سيقفون هناك.

على

ذات الديار ودروب الديار.

سيستنشقون

دخان البارود واللحم المحترق،

ثم

يرجعون إلى خيام عليها ،

كتابة بحروف أجنبية كبيرة.

طفولة

انحنِ
قليلاً أيّها الولد،
كي لا يسقط الرضيع عن ظهرك.

ضعْ
يدك على تراب هذا الأرض الملعونة،
كي لا تقذفك ريح الكراهية،
إلى مخيمات العذاب.

انحنِ
قليلاً أيّها الولدُ،
كي لا تصفعك السماء مرّتين.

عندما تحلمُ باية

"في الحلم،
طائر يقطع بجناحيه خدّ القمر،
حجرٌ يتدحرج على كثبان وبحار ونهر،
شجر يلامس الهواء بأوراقه.
في قلوب الناس شجنٌ يفيض بالألحان."

"في الحلم،
نسائم عليلة تلامس النوافذ،
سكينة تملأ الشوارع،
جاء المطر ليلاً، ورحل.
جذوع الأشجار تنزف."

"في الحلم،
الذكرياتُ البعيدة علقت بغبار الوقت،
الرُؤَى نائمة على رِجل طائرٍ.
من أين أجدُ لك جبيرة يا قلبُ؟!"

"في الحلم،
أرجوحة تهتزّ في غابة،
ليلٌ يهتزّ في جيب قميص.
عينٌ تقتفي أثر غريبٍ جوّاب."

"في الحلم،
شاهد الديكُ
حبوب الشعير على الأرض المبلولة،
الفتاة تعجن الزعفران على كفّها.
ريشة تميل ذات اليمين وذات الشمال."

"في الحلم،
زهرات روب الحمّام باهتة،
قطرات الماء تسيل بطيئة على جسد مجعّد،
دورق الشاي يفوح بالمريمية.
عشيّة باردة موحشة."

"في الحلم،
تصحو ستارة على قلب مكسور،
تشهق ورود في أصيص قديم.
رمّان ينتفض تحت قطيفة وردية."

"في الحلم،

طارت الحمائم من الوسائد،

تركت سمكات تلعب بقطرات الماء،

سنابل تنوء بأحمالها.

حسبها رعشة فوق سرير."

"في الحلم،

يسرق جدائل الشمس إلى حبيبته،

يمسح بزيت الزيتون لحيته وشاربه.

إلى من تضع وردة على جبينك يا رجل؟!"

"في الحلم،

اشتعل الرمّان بين يديّ العروس،

عجنت الأم الحنّاء على ورق التين.

أعواد قرنفل وأحمر شفاه في جيب القفطان."

"في الحلم،

القلب كمأة،

الشجرة أغنية،

القبلة قبّعة حمراء.

أيّهذا الحزن الأليف تمهّلْ!"

"في الحلم،
الحصان يجلس على المائدة،
الهدهد علكة تضعها السيدة في فمها.
يدخل القارب المرفأ في هدوء."

"في الحلم،
الطيور تقطف العنب،
السلحفاة تغربل الدقيق.
شامة كبيرة على خدّ الصبيّة."

"في الحلم،
طار العصفور إلى الدار مقلوباً على ظهره.
النافذة عند شجرة التين مقفلة،
فردة حذاء عند عتبة الباب.
دقّاقة الباب تكاد تبتسم!"

"في الحلم،
النبتة أكبر من البيت،
الديك يحجل بساق واحدة.
القبلات كعكات على السرير."

"في الحلم،

تسند الأمّ رأسها على حجر ابنتها،

نهر ينساب من دانتيلّا الفستان.

قصاصات ورق ترقص في صحن بازلاء."

"في الحلم،

عنب يرقص بين أشجار أليفة.

إبريق بين سبّابة وإبهام."

"في الحلم،

المرأة تسبح في نهر أبيض من الثلج،

جناح الطائر أخضر يلمع.

الكبش فرحان بخلخاليه الفضيتين."

باية: : باية محي الدين (فاطمة حداد)، فنّانة تشكيلية جزائرية، 1998-1931